طوال الليل أكون الليل.

أليخاندرا بيثارنيك.

ترجمة: تحسين الخطيب.



١

كساعةٍ رمليّةٍ تسقطُ الموسيقى على الموسيقى.
حزينةٌ أنا في ليلِ أنيابِ الذئابِ.

تسقطُ الموسيقى على الموسيقى
كسقوطِ صوتي على أصواتي.

٢

على تلكَ التي تعودُ باحثةً عمّا كانت تبحثُ في القديمِ
يُرخى الليلُ سدولَهُ كماءٍ على حجَرٍ
كهواءٍ على طائرٍ
كجسدينِ يهبطانِ على بعضهما في الحُبّ.

٣

ضاحكًا يموتُ الموتُ ولكنّ الحياةَ
باكيةً تموتُ ولكنّ الموتَ ولكنّ الحياةَ
ولكنّ العدَمَ العدمَ العدمْ

٤

تختارُ موضعَ الجُرحِ
حيثُ نقولُ صمتَنا.

هَا أنتَ تجعلُ حياتي
هذا الطّقْسَ الذي في غايةِ النّقاءِ.

٥

في اللّيلِ، قُرْبَكَ،
تصيرُ الكلماتُ أدلّةً، مفاتيحَ.
والشّوقُ إلى الموتِ مَلِكًا يصيرُ.

فَلْيَكُنْ جسدُكَ أبدًا
مهبطَ التجلّياتِ؛ المهبطَ المعشوق.

٦

خُذْ وجهيَ، أخرسَ يتوسّلُ.
خُذْ هذا الحُبّ الذي أسألُ.
خُذْ بَعْضِيَ الذي هُوَ أنت.

٧

زهرةٍ
ليستْ بعيدةً عنِ اللّيلِ
ينفتحُ
جسدي الأخرسُ
على النّدى وإلحاحهِ الهَشّ.

٨

جعلتَ صمتَ اللّيلكِ يرفرفُ
في مأساةِ الرّيحِ التي في قلبي.

وجعلتَ حياتي حكايةَ أطفالٍ
حيثُ الموتُ والخيباتُ
ذرائعُ للطقوسِ المعشوقةِ.

٩

شخصٌ يذهبُ في الصمتِ ويهجرني.
ليستْ وحيدةً هِيَ العزلةُ الآنَ.
كاللّيلِ تحكي.
وتُعلِنُ نَفْسَكَ كالعطَشِ.

١٠

للزّمنِ خوفُهُ
وللخوفِ زمنُهُ
خوفٌ
يطوفُ دمي
يقطفُ ثمرتي الأحسنَ
ويدكِّ جداريَ الرّحيمَ
لا شيءَ إلّا الخرابُ
خرابُ أخربةٍ
وخوفٌ
خوفٌ كثيرٌ
وخوفُ.

١١

لا بُدّ أن ننقذَ الرّيح
فالعصافيرُ تحرقُ الرّيح
في شَعرِ امرأةٍ وحيدةٍ
تعودُ من الطبيعةِ
وتحيكُ التّباريح
لا بُدّ أن ننقذَ الرّيح.

١٢

صوتك
كامنٌ في كتابتي
وفي قصيدتي تُغنّي.
يا أسيرَ صوتِكَ العذبِ
المحفورِ في ذاكرتي.
يا الطّائرَ المُنكبّ على طيرانهِ.
يا الهواءَ الموشومَ بالغيابِ.
ويا السّاعةَ التي تدقّ معَ نبضي
كي لا أستيقظُ.

١٣

تموتُ في جرحيَ الريحُ.

وإلى دمي يتوسّلُ اللّيلُ.

١٤

ليستْ قصيدةَ غيابكَ،
بَلْ رسمةٌ، صدعٌ في الجدارِ،
شيءٌ في الرّيحِ، وطعمٌ مُرٌّ.

١٥

كلُّ شيءٍ يطارحُ الصّمتَ الغرام.
وعدوني بصمتٍ كالنّارِ— بيتٍ مِن الصّمتِ.

فجأةً، المعبدُ سيرك والضوءُ طبل.

١٦

قفزتُ من نفسي إلى الفجرِ.
تركتُ جسدي قُربَ اللّيلِ
وغنّيتُ حزنَ ما قد وُلد.

١٧

هاكُمُ الصّيغتانِ المُقترحتانِ:
حفرةٌ، وجدارٌ يرتعشُ.

١٨

وحدَهُ العطشُ
الصّمتُ
ولا لقاءاتٍ

احترسْ يا حُبّي
احترس من الصّامتةِ الّتي في الصّحراءِ
منَ الرّحالةِ ذاتِ الكأسِ الفارغةِ
ومِن ظلِّ ظلِّهَا.

١٩

والآنَ حينئذٍ:
مَن سيكُفُّ عن غمسِ يدهِ
بحثًا عن ثناءٍ للواحدةِ المنسيّةِ.

سيدفعُ البردُ. والرّيحُ.
والمطرُ سوفَ يدفعُ. والرّعدُ.

٢٠

لبرهةٍ حياةٍ قصيرةٍ
فرادةُ عينَيْنِ تنفتحانِ
لبرهةٍ أرى
أزهارًا صغيرةً في الدّماغِ
ترقصُ كالكلماتِ في فمِ الأخرسِ.

٢١

تتعرّى في فردوسِ
ذاكرتها
جاهلةً قَدَرَ رؤاها
العنيفَ
تخشى ألّا تعرفَ كي تُسمِّي
اللّاموجودَ.

٢٢

تشبُّ النّارُ في القميصِ، فتقفزُ
مِن نجمةٍ إلى نجمةٍ،
مِن ظلٍّ إلى ظلٍّ.
وتموتُ موتًا بعيدًا
المرأةُ التي تعشقُ الرّيح.

٢٣

تلمعُ هذي العظامُ في اللّيلِ،
وهذي الكلماتُ كأحجارٍ كريمةٍ
في الحنجرةِ الحيّةِ للطّائرِ المُتحجّرِ،
وهذا الأخضرُ الحبيبُ،
وهذا اللّيلكُ الحميمُ،
وهذا القلبُ الغموضُ.

٢٤

ريحٌ واهنةٌ
طافحةٌ بوجوهٍ محنيّةٍ
أُقطّعها أشكالَ أشياءٍ أحبّها.

٢٥

الآنَ
في هذي السّاعةِ البريئةِ
أنا والذي كُنْتُهَا نجلسُ
على عتبةِ تحديقتي.

٢٦

لا مزيدَ تحوُّلاتٍ جميلةٍ لصبيّةٍ ناعمةٍ كالحريرِ
تمشي في نومها على حافّةِ السّديمِ

صَحْوُهَا كيَدٍ تتنفّسُ
كزهرةٍ تنفتحُ إلى الرّيحِ.

٢٧

أن أُفسّرَ العالمَ بالكلماتِ
أنَّ سفينةً قد أبحرتْ مِنِّيْ تأخذني معها.

٢٨

القصيدةُ التي لا أقولُ،
القصيدةَ التي لا أستحقُّ.
خوفَ أنْ أكونَ اثنتَيْنِ
على شاكلةِ المرايا:
شخصٌ ينامُ فِيَّ
يأكلُنِي ويشربُنِي.

٢٩

أفتقدُ نسيانَ مَا قَدْ كانَ
في ساعةِ مولدي.
أفتقدُ أنّني لم أعُد قادرةً على أداءِ دورِ
الوافدِ الجديدِ.

٣٠

شيّدتِ بيتكِ
وريَّشْتِ طيوركِ
وهزمتِ الرّيحَ
بعظامكِ أنتِ

وأنهيتِ وحدَكِ
مَا لَمْ يبدأهُ أحدُ.

٣١

أيّامَ أن تستحوذَ عليَّ كلمةٌ بعيدةٌ. أمضي في تلكَ الأيّامِ سائرةً في نومي، شفّافةً. المرأةُ الآليّةُ الجميلةُ تغوي نفْسَها وتُغنّي إلى نَفسها، تقصُّ على نَفْسها حكاياتٍ وأشياءَ: عشَّ خيوطٍ قاسيةٍ حيثُ أرقصُ وأرثي نَفْسي في جنازاتي الكثيرةِ. (هي مرآتُها وقد شبّتِ النّارُ فيها، انتظارُها في شعلاتٍ باردةٍ، عنصرُها الباطنيُّ، فجورُها معَ أسماءٍ تكبرُ وحيدةً في اللّيلِ الشّاحبِ).

٣٢

كقصيدةٍ على بَيِّنَةٍ
مِن صمتِ الأشياءِ
تحكي كي لا تراني.

٣٣

حينَ أرى العينَيْنِ
اللّتَيْن وشمتُهما على عينيَّ.

٣٤

تقول إنّها لا تعرفُ الخوفَ مِنَ الموتِ مِنَ الحُبِّ
تقولُ إنّها تخافُ الموتَ الحُبَّ
تقولُ إنّ الحُبَّ الموتَ الخوفَ
تقولُ إنّ الموتَ الخوفَ الحُبَّ
تقولُ إنّها لا تعرفُ.

٣٥

كثيرًا وُلدتُّ
ومرّتَيْنِ أكثرَ ممّا وُلدتُ قد عانيتُ
في ذاكرةِ الهُنَا والهُنَاكَ.

٣٦

في اللّيلِ
مرآةٌ للميّتِ الصّغيرِ
مرآةُ رمادٍ.

٣٧

نظرةٌ مِنَ الحضيضِ
قد تغدو رؤيةً عنِ العالَمِ

يكمنُ التمرّدُ في النّظرِ إلى وردةٍ
حتّى تنسحقَ عيناك.

٣٨

(رسمةٌ لولتس)

تسجنُ الظّلالَ هذي الخيوطُ
ترغمها على أن تتدبّرَ الصّمتَ
تفرضُ هذي الخيوطُ على البصرِ أن ينشجَ.

٣٩

(معرض لوحات غويا)

ثقبٌ في اللّيلِ
اجتاحَهُ فجأةً ملاكٌ.

٤٠

(رسمةٌ لكلي)

حين يُضيءُ قصرُ
اللّيلِ جمالَهُ

سنخبطُ المرايا
حتّى تُغنّي وجوهُنَا كالأصنامِ.

٤١

لمسةُ فجرٍ على الأزهارِ
تتركني سكرانةً مِن لا شيءٍ، ومِنَ الضّوءِ اللّيللكِ
سكرانةً، لا أتحرّكُ، بالتّأكيدِ.

٤٢

تبتعدينَ عنِ الأسماءِ
وتلضمينَ صمتَ الأشياءِ.

٤٣

نعيشُ هُنَا ويدٌ على حَلْقِنَا.
ولقد عرفَ أولئكَ الذينَ اخترعوا الأمطارَ،
والكلماتِ الملضومةِ في عذابِ الغيابِ،
بأنْ لا شيءَ ممكنٌ.

ولهذا كانَ في صلواتهم ذاتَ مرّةٍ
صوتُ أيدٍ تعشقُ الضّباب.

٤٤

في الشّتاءِ الخرافيِّ
ترنيمةٌ جنائزيّةٌ لأجنحةٍ في المطرِ
أصابعُ ضبابٍ في ذاكرةِ الماءِ

٤٥

حانَ الوقتُ كي يغمضَ المرءُ عينيهِ
ويقسمُ ألّا يفتحهما ثانيةً.

طالما أنّهم يقتاتونَ في الخارجِ
على السّاعاتِ والأزهارِ المكّارةِ منذُ الولادةِ.

بَيْدَ أنّنا، بأعينٍ مغمضةٍ، ومعاناة عظيمةٍ حقّاً
نخبطُ المرايا حتّى تلوحُ الكلماتُ المنسيّةُ
على نحوٍ سحريّ.

٤٦

منطقةٌ ضربها الطّاعونُ حيثُ النّائمةُ
تأكلُ على مهلها
قلبَها المنتصفَ اللّيلِ.

٤٧

الرحّالةُ الصغيرةُ
ستموتُ وهي تفسّرُ موتَها

حيواناتٌ حكيمةٌ يعتريها الحنينُ
ستزورُ جسدها الدّافئَ.

٤٨

في قفصِ الوقتِ
تحدّقُ النّائمةُ في عينيها الوحيدتَيْنِ

تجلبُ الرّيحُ إليها
جوابَ أوراقِ الأشجارِ الخفيضَ.

٤٩

ورِاءَ أيّ أرضٍ حرامٍ
مرآةٌ لشفافيّتنا الحزينةِ!

٥٠

أحيانًا
أحيانًا ربّما
سأرحلُ دونَ أن أظلَّ
سأرحلُ كمن يرحلُ.